الوحدة العربية

في فكر الأستاذ ميشيل عفلق

مدونة ابو عبدو



الدكتور

عزالدين دياب

باحث وأكاديمي من القطر السوري

منشورات الطليعة

تونس

2002

الوحدة العربية في فكر الأستاذ ميشيل عفلق

عزالدين دياب

دمشق 2000

فكر الأستاذ ثري بالمفاهيم التي تغني الفكر القومي وتحرره من المفاهيم والمصطلحات التي تعود في جذورها إلى الفكر الغربي وتجربته الاجتماعية. وهذا الغنى وضع حدا لتعويم المفاهيم العربية التي لا يمكن أن نجد لها سندا موضوعيا في الحياة العربية.

وهذه المفاهيم استخلصها الأستاذ من قراءته المتأنية للحياة العربية ولتجربتها الاجتماعية. ومن تصنته المبدع لحركة التاريخ العربي. وهي مسكونة بما يجري في عمق الحياة العربية. ولذلك تميزت مفاهيمه وأطروحاته باستيعاب ما في هذه الحياة من أحداث ووقائع.

وتربع على عرش هذه المفاهيم مفهوم الوحدة العربية والانقلابية والجيل العربي الجديد والعلاقة العضوية بين العروبة والإسلام وما يوفره قدم العروبة على الإسلام من مهام جهادية على الإنسان العربي في كل زمان ومكان. ومفهوم الدور الحضاري ومعركة الحضارة العربية والبعد الديني في هذه المعركة وأهمية الجانب الروحي والأخلاقي في الحضارة العربية.

وجل المفاهيم التي استخلصها الأستاذ من الحياة العربية تحولت الى محاور أساس في فكره وثوابت في منهجه وعلامة فارقة في الفكر القومي تحسب له ولتياره الفكري الذي أحدث نقلة نوعية في تحليل الحياة العربية والتحديات التي تتعرض لها ومتطلبات المستقبل.

وأدرك الأستاذ مبكرا منذ مقالاته الأولى أن بعض المثقفين العرب ممن تأثروا اما بالثقافة أو أولئك الذين استأثرت بهم النزعات الإقليمية سيهاجمون فكره وأطروحته تحت حجج لا أول لها ولا آخر. وقد قال في

هذا الشأن ما يلي[1]: «إليها الأخوان: بدأ حزبنا قبل خمسة عشر عاما ونادى بفكرة اعتقد بأنكم تعرفون خلاصتها. والوحدة العربية أبرز شيء فيها وبالرغم من أن حلم الوحدة يراود العرب جميعا في مشرقهم ومغربهم إلا أن الكثيرين حتى من المثقفين ومن العاملين في الحقل القومي كانوا ضعيفي الإيمان في أمر الوحدة وكانوا ينسبون الى دعوتنا الخيالية ويعتبرون بأننا نطالب بأشياء نظرية وإن هذا الحزب المؤلف من شباب وطلاب لم يختبر الواقع ولم يعرف حدود الإمكانيات وحقيقة الصعوبات».

إلا أن هذه النظرة الى مفاهيم الأستاذ واطروحاته سرعان ما تغيرت وأصبحت الكثرة المثقفة من أبناء الشعب العربي ترى فيها المنهجية والمنطقية لأنها هي التي أحيت أهداف الأمة في الوحدة والحرية والاشتراكية. واستنهضتها إلى ما يجب أن تكون عليه فالتفت الجماهير الشعبية حولها وناضلت من أجلها ولا تزال حتى هذه الساعة. وقد تلمس ذلك الأستاذ بشفافية الانتماء إليها والنضال من أجلها لأنه كان الفيلسوف المحارب[2]: «ولكن اليوم بعد خمسة عشر عاما اعتقد بأن أكثر الذين كانوا يأخذون علينا هذا التصرف في الغالب عرفوا بالتجربة بأننا لم نكن حالمين ولا متوهمين وإن الوحدة العربية ليست مجرد حلم وخيال بل حقيقة حية سائرة في طريق التحقيق وإنما قطعت شوطا كبيرا في هذه السنوات. ولكن أمامها أيضا أشواطا كثيرة».

والجديد في فكرة الوحدة عند الأستاذ أنه أعتبرها تعبيرا عن الوحدة القومية المفقودة لأن العرب في المشرق والمغرب[3] «لم يعودوا يشعرون انهم أمة واحدة» كما اعتبرها تعبيرا عن الوحدة الروحية لأنها الطريق أو المدخل الى الوحدة القومية. فإذا كانت الوحدة تمثل الواقع العربي فان الروح تمثل جانبا مهما من الفكر الجمعي للعرب[4] «لا يمكن تحقيق الوحدة العربية تحقيقا جديا ومتينا صامدا للزمن إلا إذا حدث انبعاث روحي في المجتمع» وعلى هذا الأساس تصبح الوحدة العربية حسب

اجتهاده[5] «نتيجة للانقلاب الروحي في المجتمع العربي وهي أيضا سبب من أسباب هذا الانقلاب».

ولا بد ان نشير الى أن الروح والسلوك الروحي عبارة عن عناصر ثقافية تشكل إحدى المحددات السلوكية والاجتماعية للشخصية العربية في فكر الأستاذ وأن الانقلاب الروحي ما هو إلا عملية ضبط وتنظيم لعمليات التخلي والاكتساب حتى لا تتم هذه العمليات وفق التأثير أو الغزو الثقافي الآتي إليها من الثقافة الغربية لأن العرب يعيشون في حالة من التهديد إذا تمت تلك العمليات تحت تأثير الثقافة الغربية لأن الثقافة الغربية تؤدي إلى أن[6] «تحل المادة محل الروح وأن يحتل الإلحاد مكان الإيمان والانفلات والتطرف محل الأخلاق إذا لم يع الشباب مسئوليته الخطيرة».

وأمام دعوته للسيطرة على العمليات الثقافية داخل الثقافة من أجل أن تتطور القيم الروحية تطورا إيجابيا ينبه إلى أن هذه الدعوة لا تعنى على الإطلاق أنه يفهم منها أنه يدعو «الى المحافظة على الأوضاع الفاسدة (...)» أو يظن أنه ينبذ «التفكير الواقعي ونهمل ضرورات العلم ومقتضيات التفكير العلمي». إنما هي دعوة[7] «إلى مفهوم جديد للحياة القومية. والحياة بصورة عامة قوامه: الأيمان بالقيم الروحية الإنسانية وبقيم الروح العربية الأصيلة ومظهره الانفصال الحاسم عن مفاسد الواقع ومكافحتها في طريق صاعدة شاقة تسير فيها الأمة ببطيء وجهد نحو الاتصال بروحها من خلال هذا الصراع الدامي بينها وبين واقعها».

ويرى الأستاذ أن هناك مواقف متباينة بشأن الوحدة العربية. وهناك مواقف خاطئة ومواقف صحيحة وأن هناك أيضا نظرة خاطئة للوحدة ونظرة صحيحة. أما النظرة الصحيحة للوحدة العربية من وجهة نظره[8] «.. هي أن يكون أساس النهضة العربية الجديدة. أساس الانقلاب العربي المنشود، قائما على هذا المبدأ الذي لا يجوز التفريط فيه أو التهاون فيه:

بأن العرب أمة واحدة (...) بأنهم إن لم يكونوا عمليا موحدين فأنهم روحيا موحدين». كما اعتبر الأستاذ أن تحقيق الوحدة العربية تحقيقا جديا وقويا يتطلب[9] «انبعاث روحي في المجتمع العربي».

ونتساءل كيف يتم الانبعاث الروحي الذي هو أساس الوحدة وما هي شروط قيام الوحدة العربية؟.

ويجيب الأستاذ في أن نعطى المفاهيم الروحية والقيم السامية معناها الحقيقي. وأن تبنى في جو النضال.. في صميم النضال وأن يبنى نضال الجماهير على أساس الوحدة لأن النضال هو المعبر الصحيح عن هذه الجماهير.

ويتوصل الأستاذ من خلال إجابته السابقة عن مقتضيات الوحدة العربية وشروطها القريبة والبعيدة المادية والروحية الى القانون الوحدوي التالي بأن[10] «الوحدة العربية قبل كل شيء نضال ووحدة في النضال» وهذا معناه أن كل عمل وحدوي. يتطلب مستوى معينا من النضال الشعبي الوحدوي. فالنضالات الوطنية لا يمكن أن تأخذ كل أبعادها وتحقيق كل أهدافها إلا بوحدة النضال العربي. والمثل على ذلك الثورة الفلسطينية وثورة الجزائر والعدوان الثلاثي على مصر ووحدة مصر وسورية.

والجدير بالذكر أن شروط الوحدة العربية موجودة ومتوفرة داخل الحياة العربية وحاضرة في كل زمان ومكان إلا أنها تريد وتتطلب شرط النضال الوحدوي. وهذا الشرط محكوم الى إرادة الأمة العربية. إلا أن هذه الإرادة ليست على وتيرة واحدة. فهي مرة قوية ومهاجمة. ومرة ثانية ضعيفة ومهاجمة. إن الإرادة العربية هي دائما وأبدا مستهدفة من قبل الغرب والإمبريالية الأمريكية خلال الصراع على الدور الحضاري وهي أشبه برحى المعركة التي يدور حولها الصراع الحضاري بين الإمبريالية العالمية

والصهيونية والشعب العربي من المحيط الى الخليج العربي.

وما دامت الوحدة محكومة الى الظروف الداخلية والخارجية فالسبيل إليها يختلف بموجب هذه الظروف. فإذا كانت الوحدة العربية في عقد الخمسينات والستينات من هذا القرن قد اقترنت بالنضال الجماهيري الواسع النطاق. فإن نضال الوحدة في الوقت الراهن الذي تحكمه سياسة القطب الواحد المتمثل بالإمبريالية الأمريكية يمكن أن يتم على أساس العمل العربي المشترك ممثلا بالسوق العربية وغيرها كما سنبينه بعد قليل بمقارنتنا بين مجتمع التجزئة ومجتمع الوحدة العربية أو الحياة العربية.

إن الوحدة العربية هي التي تكمن فيها الشروط الموضوعية والذاتية لممارسة الأمة العربية دورها الحضاري. وهي بوابته ومدخله الحقيقي. ولذلك اعتبرها الأستاذ حالة عربية ثورية وتصورها تصورا انقلابيا[11] «فالوحدة في نظر البعث فكرة ثورية وعمل ثوري (...) وتتصل الوحدة بمفهومها الثوري (...) فالوحدة العربية هي وحدة الشعب العربي (...) الوحدة ثورة تأتي لتزيل التشويه وتغير الواقع وتكشف عن الأعماق وتطلق القوى الحبيسة والنظرة السليمة (...) الوحدة ثورة تاريخية (...) أن معركة الوحدة التي لا تنفصل حسب عقيدتنا ونظريتنا ونضالنا عن معركة الحرية وعن معركة الاشتراكية».

والوحدة العربية اذ تحظى بهذه الأهمية في فكر الأستاذ فلأنها تعتبر القاعدة المادية والبشرية لمعركة الحضارة العربية. وهو لذلك يقول إن القطر الواحد لا يتسع لمعركة الحضارة ولا يحقق النصر فيها. ولذلك تصبح شرطا رئيسا للعرب في تحقيق النهضة العربية والمباشرة في أداء دورها الحضاري. ولذلك كان لها في كتاباته تجليات عدة. فهي تظهر في وحدة الأرض وفي وحدة الثقافة العربية القائمة على تنوع ثري وخصب يغني الثقافة العربية وتظهر أيضا فى كل معركة من معارك الأمة العربية. تجلت

في مواجهة الصليبية وتجلت في الدفاع عن عروبة فلسطين وفي ثورة الجزائر وفي العدوان الثلاثي. كما تجلت بوضوح لا لبس فيه على الإطلاق في الوقوف الى جانب العراق وهو يواجه العدوان الأطلسي ـ الصهيوني. وتجلت في وحدة الإرادة العربية التي صارت هدفا يوميا للحرب النفسية التي تقوم بها الإمبريالية الأمريكية والصهيونية لأن الإرادة العربية لها منطقها الانقلابي الذي تخافه الإمبريالية العالمية. ولذلك رأى الأستاذ بأن الوحدة لا تقتصر على النطاق السياسي وإنما تحتوي على النضال الاجتماعي والروحي. ونظر إليها أيضا بوصفها فكرة ومستوى من النضال الفكري[12]: «ليست الوحدة العربية محصلة أو نتيجة لنضال الشعب العربي من أجل الحرية والاشتراكية بل هي فكرة جديدة يجب أن توافق وتوجه هذا النضال». كما أنه يراها في الوحدة الفكرية والنفسية للشعب العربي[13]: «الوحدة العربية يجب أن تبدأ بوحدة النفوس ـ الحالة النفسية الموحدة. بالحالة الفكرية الموحدة». وبما أن الوحدة العربية لها هذا الشأن في الحياة العربية ومستقبلها فإنها تصبح طريق الأمة الحقيقي لممارسة دورها الحضاري في عالم لم يعد يتسع للكيانات الصغيرة وللأمم المتخلفة والمجزأة ففي التجزئة يتعثر تجميع الطاقات العربية سواء كانت ثروات أم عقولا بشرية. أو رأس مال وتتشرذم قوة الأمة العربية الاقتصادية والعسكرية والأمنية.. الخ... ولذلك فان الوضع السليم للأقطار العربية في الوحدة العربية. وعلى هذا الأساس يربط الأستاذ بين تحقيق التنمية في أي قطر من الأقطار العربية بالوحدة العربية وكل ما من شانه تجميع الطاقات والثروات العربية المادية والبشرية. وأن الأوضاع القطرية تجعل التنمية مهددة بالفشل بين يوم وآخر كما هو الحال الآن في أكثر من قطر عربي وبهذا الصدد يقول[14]: «... لا يقتصر عملنا على أن ننجح في قطر وأن نبني في قطر واحد فقط ولأننا بمنطق حزبنا ندرك أن عملنا وبناءنا يبقيان مهددين إذا لم تتعامل جماهيرنا الواسعة في كل قطر عربي معنا

لتحصل الحصانة الحصانة اللازمة لأن المطلوب ليس النجاح في جزء وإنما التقدم دوما والتوسع دوما أن نوسع رقعة النجاح».

والحقيقة أن توسيع رقعة النجاح في العمل الوحدوي مهما كانت أبعاده ومستوياته ابتداء بالعمل العربي المشترك والسوق العربية المشتركة والاتحاد الفدرالي والوحدة الاندماجية يؤدي لا محالة إلى نجاح العرب في معركة الحضارة وتصبح معطيات الحضارة النابعة من الأرض العربية في متناول اليد. أي أن هذه النجاحات ستكون جزءا لا يتجزأ من معركة المستقبل(15)... «ولن تكون معركة المستقبل قائمة إذا لم يشارك فيها كل العرب (...) من أجل أن تصل معاني هذه المعركة الى قلب كل عربي. فهي البداية الصحيحة»(16).

وربط الأستاذ بين الوحدة العربية وبين وصول القوميات الموجودة في الوطن العربي الى حقوقها المشروعة وحرية تقرير المصير مثل الأكراد فقال(17): «... ماذا يطلب الأكراد؟ التحرر وتوحيد شعوبهم وتحقيق شخصيتهم القومية. إذا كانوا ينشدون التحرر فالأمة العربية هي في معركة تحرر كبرى هي أهم معارك هذا العصر فليس من المعقول أن تتناقض حركتهم للتحرر مع حركة الأمة العربية وإنما العكس هو الصحيح. الانسجام والتعاون والتحالف ضد العدو المشترك»..

ثم يتابع قائلا في موضع آخر من عمله الموسوعي في سبيل البعث(18): «وحيث أن المنطق لحل مشكلة الأقليات هو منطلق واحد لا يتغير هو إنسانية قوميتنا العربية. المنطلق بأن قوميتنا ليست هي القومية المتعصبة ليست هي القومية الضيقة. ليست هي القومية المستغلة والهادفة الى التوسع. أو إلى استبعاد الآخرين قوميتنا امتزجت بالإسلام. الإسلام هو من روح العروبة أيضا فإذا نحن نؤمن بأننا أقدر من أية أمة على حل مشكلة الأقليات منطلقين من هذه الروح من تراثنا من مراعاة واقعنا

ومصلحتنا القومية. مصلحتنا في التآخي وليست في إبقاء عوامل وأسباب التأخر الداخلي ولترك ثغرات يستغلها الأعداء في داخل بنيانا القومي».

وإذا كان الأستاذ يعطي الوحدة العربية كل القدرات والإمكانات لحل جل مشاكل الأمة العربية فهو يفعل ذلك لأنه يرى فيها ثورة بل ثورة الثورات وقد أعطاها هذا البعد الثوري بقوله[19]: «الوحدة العربية أيها الرفاق هي الثورة الحقيقية وكل ما يسبقها هو تمهيد للثورة. ولا يتخذ المعنى الثوري الحقيقي إلا عندما تتحقق الوحدة العربية. الوحدة العربية رسالة هذا العصر».

وما دامت الوحدة العربية ثورة فالثورات دائما وأبدا تهدف الى تحقيق رسالة. لذلك فان الوحدة العربية ستحمل الخير للعالم[20] «لأن ننظر إلى المستقبل الذي تتحقق فيه الوحدة العربية. الوحدة العربية بتقديرنا ستغير وجه العالم هي ليست خيرا لأبنائها العرب وإنما ستكون عصرا جديدا وحاسما في تغيير أشياء كثيرة لمصلحة الحرية لمصلحة العدالة لمصلحة السلام بين الشعوب».

ويستفاد مما تقدم أن الأستاذ يعتبر الوحدة العربية في حد ذاتها نهضة ثورة ونهضة نضال وإن لكل من الثورة والنهضة في الوطن العربي مهمة ورسالة أو دور حضاري ورسالة تعبر عن هذه النهضة وتبلغ عن أهدافها ومقوماتها واتجاهها ومقاصدها الى الأمم الأخرى. غير أن تحقيق الوحدة الكاملة لا يتم إلا بالعمل النضالي لأن الوحدة كما أسلفنا عند الأستاذ ثورة وإنها فكرة جوهرية لها مقامها في الفكر القومي ولها أيضا[21] «وعيها الذي يجب أن يوضح ويعمم حتى يقوم التفكير ويلهب النفوس (...) إذا الوحدة ليست عملا آليا تتم من تلقاء نفسها نتيجة للظروف والتطور. فالظروف لا تخدمها والتطور قد يسير معاكسا لها نحو تبلور كاذب للتجزئة. فهي بهذا المعنى فاعلية (...) أي أنها تفكير انقلابي

وعمل نضالي إن هجوم الاستعمار والصهيونية يكاد يتركز على الوحدة العربية، وقد كان الانفصال شاهدا حيا على شماتة كل القوى المعادية للوحدة بهذا الحدث المشؤوم وفي مقدمتها الإمبريالية والصهيونية العالمية ثم يصل الى النتيجة التالية من خلال تأكيده على العلاقة العضوية بين الوحدة والنضال في مقال له عنوانه: «النظرة المستقبلية الحضارية» نستخلص أن نضالنا لا يمكن أن يتكافأ مع قوة الأعداء ورسائلهم إذا لم يكن أولا: «نضالا عربيا وثانيا نضالا إنسانيا».

وبعد ربطه بين الوحدة والنضال والجانب الإنساني في الوحدة العربية يبادر الى توضيح دور الأمة العربية الحضاري يقول[22]: «لم تصبح القضية العربية قضية معاصرة وموضع اهتمام العالم إلا عندما وضعت أو جعلت نظرتها نظرة مستقبلية حضارية إلا عندما استلهمت أصالة أمتنا التي لم تكن لترضى لنفسها بأن تنشغل بأمورها الخاصة وبنفعها الخاص وإنما بداية انطلاقتها الحضارية تقوم على نظرة إنسانية شاملة وعلى تصور إنساني حضاري يرتب على الشعب العربي مسؤوليات جدية تجاه اخوته في الإنسانية (...) وأن يتخلص العرب من التخلف والتجزئة ولكن من أجل مشروع حضاري ترجع فيه الأمة العربية إلى العطاء الإيجابي لتتساوى مع الأمم والشعوب بهذا العالم في بناء المستقبل الحر الذي نطمح إليه».

التراث والدور الحضاري:

أن أولوية الوحدة العربية كفكره وهدف في فكر الأستاذ وأحد المحاور التي تشكل بنيانه الفكري جعلته يعود الى التراث ويبرز أهميته في المحافظة على الهوية العربية وعلى أصالة الأمة العربية. كما أنه جعل من التراث الخلفية المرجعية للدور الحضاري حيث يتسلح منه بالرسالة الخالدة التي يحملها الى الأمم الأخرى. لذلك فاقتراب الدور الحضاري من التراث

تجعله حاضرا في قلب الحياة العربية ومستقبلها. ومصحوبا برسالته. لأن الرسالة في هذه الحالة ليست ماضيا بل مستقبلا. والأستاذ إذ يفسر التراث على هذا النحو يدرك أن التراث عبارة عن معطى حضاري أو لحظة حضارية فيها من الماضي ومن الحاضر وفيها من المستقبل لأن اللحظة الحضارية كما أسلفنا تتركب من الماضي والحاضر والمستقبل لأن الماضي فيه حاضر والحاضر فيه ماض والماضي والحاضر فيهما مستقبل. وهذه الصيرورة للحظة الحضارية تجعل من التراث حالة مستقبلية في كل زمان ومكان. وفي هذه الحالة لا تنقطع الأمم عن تراثها على الإطلاق. والتواصل مع التراث يجعل الأمة في حالة معاصرة وأصالة وقد كتب الأستاذ عن فهمه وتأويله للتراث بوصفه لحظة مستقبلية لها حضورها الدائم في قلب الدور الحضاري الآتي(23): «نحن شعب عربي مسلم تراثنا ليس للماضي فقط وإنما نور وضوء على المستقبل وفيه تستمر المثل والمبادئ الإنسانية والأخلاقية. منه نستمد الروح والنظرة الى الإنسان بوجه عام».

اذا فإنه عندما يجعل التراث بهذه القيمة فإنه لا يفعل ذلك على طريقة الاتجاهات الفكرية العربية التقليدية كما انه لا يرفضه على طريقة الاتجاهات الفكرية المغرقة في استغرابها إنه يعود إليه ليجعل الدور الحضاري حاملا له ومبلغا لأسمى ما فيه الإسلام لأنه شرط رجوع الأمة العربية إلى مصاف القيادة التاريخية لممارسة دورها الحضاري: «إننا لم نلجأ الى التراث كما كان يفعل التقليديون من أجل التكرار والتقليد (...) وإنما نحن عشنا الثورة المعاصرة بكل متطلباتها ومن خلالها وجدنا أن تراثنا يعطينا أصالة لا يمكن لأي ثورة وأية نظرة فلسفية معاصرة أن تهبنا إياها. هذا الفهم للتراث هو الذي جعل الحزب يستمد منه قوة روحية وأخلاقية لا تستند إليها بقية الحركات (...) في تطلعنا الى المستقبل لأننا في الواقع نحن وأمتنا مطالبون بأن نقدم للإنسانية رسالة في تجديد القيم والأخلاق».

وما دام التراث في نظر الأستاذ يمثل حالة حاضرة في حياة الأمة العربية

وحياة نابضة بالعطاء بكل أشكاله وألوانه المعرفية والأصالة والمعاصرة فالتعامل معه لا يمثل رجوعا آليا إليه وإنما بلوغ حقيقته الثرية بالعطاء. كل ذلك من أجل أن تعود: «الأمة العربية إلى مكان القيادة في مسيرة البشرية» وهذه المهمة التاريخية لا تأتي اعتباطا إنها تأتي من خلال العلاقة المصيرية بين الأمة العربية والإنسانية التي أدركها الأستاذ ببصيرة ثاقبة لا يصل أليها إلا الذي جعل العروبة حبا قبل كل شيء واعتبرها قدره المحبب الى نفسه ولذلك كتب يقول(24): «مصير الإنسانية مرتبط بمصير العرب. تقدم الإنسانية مرتبط بتقدم الأمة العربية وتحررها. وحتى يتم للأمة العربية ذلك لابد لها من الوحدة العربية»، ولذلك دعا الى التمسك بأهداف الأمة العربية بقوله(25): «أن نتمسك بالأهداف والمبادئ. وبالهدف الأكبر الذي فيه إنقاذ نهضة الأمة العربية وهو هدف الوحدة». ويبقى على الجيل العربي الجديد الوصول الى التراث أي الى الإسلام وإنتاجه الثقافي والحضاري لأنه «التراث الروحي وهو المحرك لها هو ملهمها هو موجهها الروحي وهو الحركة الثورية المثلى». والوصول الى التراث يمتلك الشرعية المنهجية من خلال قوله أن «الحاضر لا ينفصل عن الماضي كما أنه لا ينفصل عن المستقبل»(26).

المفارقة بين مجتمع التجزئة ومجتمع الوحدة العربية:

ويؤكد الأستاذ في أكثر من مقال ودراسة أن دور الأمة العربية الحضاري يتمثل في رسالتها الخالدة التي تشكل الأساس الرئيس للتراث الحي وأحد المحددات الهامة للشخصية العربية انه مبرر وجودها وحاضرها(27): «بين واقع الأمة العربية وبين ما تصبو إليه من آمال وأهداف بون شاسع.. بين شعور الأمة العربية بأن لها رسالة الى العالم هي وحدها التي تبرر وجودها وتعطيه معنى وحافزا».

ونلاحظ من خلال المقطع السابق أن الأستاذ يميز بين حقيقة الأمة العربية

الوحدوية وبين ما هي عليه.. بين واقع الأمة العربية وبين ما تصبو إليه بين الوحدة العربية وبين التجزئة والتخلف[28] «وبين تخبطها في أوضاعها البالية ووجودها المتخلف عن كل نهضة جدية وتأثير فعال في الأحداث بين هذا الواقع وذلك الشعور من البعد ما يكاد يبلغ حد التناقض والحياة لا تستطيع الاستمرار على التناقض ولا بد لها من أن تحله اما بإماتة هذا النزوع الى الرسالة والأهداف الأصيلة بقبول الواقع السهل والاستسلام له وإما بتحريك القوى التي تتجاوب مع تطلع الأمة إلى أصالة وجودها».

ويبدو بوضوح لا لبس فيه أن المفارقة بين واقع التجزئة والوحدة العربية أو بين مجتمع الوحدة العربية وبين مجتمع التجزئة يحتم على الأمة العربية الخوض في معارك تستوي مع طبيعة التناقض فهي من جانب معركة[29] «بين الإمكانات المتحققة في واقعنا الراهن وبين الإمكانات الدفينة في الأمة العربية والتي على مدى انطلاقها وعمق تحققها يتوقف مصيرنا ويتعين مكاننا ودورنا في العالم».

وهي معركة من جانب آخر لبين تلك الأقلية التي تتمسك وفي كل بلد عربي بالأوضاع الراهنة وتدعي أن هذه الأوضاع رغم سوئها هي ما يستطيعه العرب. وهؤلاء يلتقون شاءوا أم أبوا بالاستعمار وأعداء العروبة من كل صوب ويدعمون كل ما في مجتمعنا من فساد وظلم وتأخر وبين نوع آخر من المواطنين هو أيضا أقلية يؤمن على العكس بأن بقاء الأوضاع الراهنة هو الذي يحجب حقيقة الأمة العربية ويخنق معظم كفاءاتها ويشوه نظرتها الى نفسها والى الوجود».

بناء على ما تقدم نستشعر حالة عربية لا تزل تعيد إنتاج نفسها بين آونة وأخرى نلحظها بأنه كلما زادت حدة التحديات على الوطن العربي كلما زاد الاقتناع بأهمية الوحدة العربية بوصفها الأداة الرئيسة في كسر تلك التحديات أو على الأقل صدها. لأن الحديث عن الرسالة والدور

الحضاري واقترانهما لا يمكن أن يكون منطقيا ومشروعا إلا بالوحدة العربية لأن الوحدة في حقيقتها هي انقلاب الأمة على وضع التجزئة وهي أيضا[30]. «خلق الشروط التي تمكن الأمة من التغلب بقواها الذاتية على أسباب تخلفها (...) والرسالة ليست إلا الانقلاب وثمراته (...) وأداة هذا الانقلاب هو الجيل الذي له عقلية الوحدة ونفسيتها. الجيل العربي الجديد الذي يستمد قيمته من إمكانات الآمة العربية الكامنة لا من الواقع المريض (...) لأن الوحدة العربية عمل نضالي (...) وفكرة جوهرية لها وعيها الذي يجب أن يوضح ويعمم حتى يقوم التفكير».

ونرى أن الاستشعار السابق من طبيعة فرضية يحتمل البرهنة عليه والتنبؤ بما يغاير طابعه. وقد أملت الحالة العربية هذه على الفكر الاجتماعي السياسي بغض النظر عن مدارسه واتجاهاته وتياراته أن يحاول من حين الى آخر تحليل تلك الفرضية ومن ثم فهم بنيتها والكيفية التي تتألف منها عناصرها تمهيدا للإجابة على خطابها.

والجدير بالتأكيد أن عملية الاستشعار إياها لا تأتي من فراغ بل أن الواقع العربي يشير إليها بمؤشرات كثيرة. لذلك لابد من أجراء مفارقة دائمة بين حياة الوحدة العربية وحياة التجزئة على ضوء الواقع العربي ومعطياته المتجددة.

بناء على ذلك كله تمارس المفارقة مسؤولياتها بسؤال الحالة العربية ومساءلتها عن المداخل الوطنية لمواجهة تلك التحديات. ونحن اذ نفعل ذلك ننطلق من حقيقة قوميه لم يعد مقبولا تغييبها أو إهمالها وهي أن الدولة الوطنية أصبحت واقعا يفرض نفسه على المستويين القومي والدولي. وقد جاء الوقت لإعطائها حقها والاعتراف بأن أية دعوة للوحدة العربية على حسابها أو من فوقها هو عبارة عن قفز الى المجهول والدخول في حقل الغام الصراع العربي - العربي.

وهذا يعني أن الفكر الاجتماعي والسياسي العربي عليه مراجعة أطروحاته على ضوء دور الدولة الوطنية المتعاظم في أي مشروع قومي سواء الذي يبدأ من أدبيات جامعة الدول العربية ومشاريعها والمجالس العربية الجهوية واللجان الوزارية أو أدبيات الأحزاب والمنظمات السياسية ومشاريعها القومية التي تبحث عن الطريق الى الوحدة العربية.

ان المفارقة عندما تبدأ بالسؤال والمساءلة عن المداخل الوطنية لمواجهة التحديات فإنها تفعل ذلك من خلال اعترافها بأن هناك عناصر مشتركة في مواجهتها لتلك التحديات. وإقرارها أيضا بأن هناك بعض أوجه الاختلاف والتنوع الوطني في هذا الأمر. وهو خلاصة لعوامل وظروف تاريخية عدة.

غير أن الحديث عن مستويات وطنية إزاء التحديات الداخلية والخارجية لا يعني إطلاقا إهمال ما هو مشترك بينها على المستوى القومي وثمة لحمة عضوية بين المجابهة الوطنية والقومية في هذا الميدان يجد رصيده وفوائده الموجودة في سائر أنحاء الوطن العربي وأكبر مثال على ذلك مناصرة العرب القضية الفلسطينية وانخراطهم مباشرة في صفوف مناضليها ودعم الثورة الجزائرية ومجابهة حلف بغداد وإسقاطه ومسألة تجديد الثقافة العربية وتحديثها ..الخ.

ويفرض منطق التداخل المصيري بين المصالح الوطنية والقومية سواء في لحظته الوطنية أو القومية على المفارقة التطبيقية عندما ترسم مشروعا للوحدة العربية أن تضع في حسابها فن الممكنات الراهنة والمستقبلية في أي مشروع وحدوي على ضوء تعاظم دور الدولة الوطنية.

الإطار المنهجي:

تبدأ المفارقة التطبيقية لحياة الوحدة العربية مهامها بناء على المسلمات التي احتواها الكلام السابق. والذي يلاحظ من خلالها انه معنى بالسؤال

عن الكيفية التي يعيش بها العرب حياة الوحدة العربية في ظل دولتهم الوطنية بعد أن أخفقت مرحليا الوحدة الاندماجية على نمط الوحدة السورية ـ المصرية أو الوحدات الفدرالية التي تمت بين اكثر من قطرين عربيين. وبناء على مسلمة تقول أن نجاح الدولة الوطنية في إنجاز بعض مشاريع التنمية يشعرها بأهمية الوحدة وأنه كلما زاد منطق التحدي على الدولة الوطنية كلما زاد اقتناعها بالأهمية المصيرية لحياة الوحدة العربية المتمثلة الآن في العمل العربي المشترك والتضامن العربي. الخ..

وفي هذا المقام ثمة بدهية تاريخية تقر المقارنة أهميتها القصوى في تشكيل إطارها المنهجي وهي على أية حال مستخلصة من تاريخ الوطن العربي مفادها أن هناك فجوة حضارية بين ماضي الأمة العربية وحاضرها وهي علة العلل في التجزئة الراهنة وفي زيادة رقعة الجهل والتخلف والتبعية في الوطن العربي وهي موطن التحديات التي تواجهها الدولة الوطنية.

وما دامت المفارقة قد أقرت تلك البدهية فإنها تجد لزاما عليها الاستعانة ببعض أدوات ومبادئ كل من علم المستقبل ونظرية التحدي والاستجابة لما في تلك البدهية من إشارات ومؤشرات مستقبلية يكمن فيها ماضي المستقبل وحاضره وما تحمله أيضا من لحظات تحد واستجابة.

وفي هذا الإطار تنوه المفارقة الى أن علم المستقبل هو علم المهمات الراهنة والغد المنشود لما يملكه من آليات وطرائق للتكهن بالمستقبل. وتلك شرعية حضوره وتواجده في الإطار المنهجي.

أما نظرية التحدي والاستجابة فهي تمت للمنهج التاريخي الذي يرى آن صيرورة البنى الاجتماعية هي في وجه من وجوهها ثمرة لقانون الفعل ورد الفعل. أي التحدي والاستجابة له.

وعلى هذا الأساس ترى المفارقة أن مصير الوطن العربي سيتقرر على ضوء قدرته في القضاء على الفجوة بين ماضيه وحاضره أي في استجابته

لكل ما من شأنه القضاء على التحديات التي تعززها بشكل أو بآخر الفجوة الحضارية.

وتربط المفارقة على وجه السرعة بين حصيلة هذه الفجوة وأبرزها حالة التجزئة والتخلف والتبعية وبين منطق العصر الذي يقول بأن الدول الصناعية تسير باتجاه أقامة تجمعات وكيانات اقتصادية وسياسية كبرى وهي سمة الألفية الثالثة القادمة. وهذا يعني بالنسبة للوطن العربي أن مصيره سيتقرر على ضوء قدراته في الاستجابة للتحديات التي تواجهه بما فيها التجمعات والكيانات الإقليمية والدولية التي تتم هنا وهناك في العالم هذا بالإضافة الى قدرته على التعايش الخلاق مع ثورة المعلومات والاتصالات وثورة الهندسة الوراثية التي تتم في الدول والأمم الصناعية.

كما ترى المفارقة إن ثمة أطروحة جديدة عن الوحدة العربية هي خلاصة أو نتيجة مشاريع الوحدة العربية التي طرحتها مدارس معينه في الفكر القومي. ونعني بها مجتمع الوحدة العربية. وهي لحظة انتقال من مجتمع التجزئة داخل إطار الدولة الوطنية وهياكلها الاقتصادية ومؤسساتها الاجتماعية والسياسية والثقافية.

وترى المفارقة أن لحظة الانتقال هذه هي اللحظة الحاسمة في الحياة العربية لذلك ترتقي الى مستوى المراهنة عليها.

وبناء على ما تقدم ترى المفارقة أن الإنجازات التي تقوم بها الدولة الوطنية تخلق تراكما لصالح النهضة وركوب درب الألفية الثالثة بكل إنجازاتها وثوراتها وموجاتها. لكن هذا التراكم لا يمكن أن يحدث نهضة متكاملة ترتقي إلى مستوى التحديات ولا يحقق قطيعة تامة مع التخلف والجهل لأن الإمكانيات الوطنية لاتصل الى مستوى الاستجابة للتحديات الوطنية الكبرى بل تظل لحظة الانتقال بحاجة إلى بعدها القومي بكل ما يعنيه من أنساق بنائية. وهذه النتيجة ليست وليدة منطق الرغبة لأنها

معطى لمرحلة تاريخية شهدت عدة تجارب وحدوية وإن كانت الأهداف والمآرب السياسية طاغية عليها.

لذلك تسأل المفارقة وتلك سنة منهجية اعتدنا على الأخذ بها كيف تصل الأقطار العربية إلى مجتمع الوحدة العربية في ظل سيادتها الوطنية وكل ما يمت إليه بصلة من تنوع ثقافي واختلاف في تطور البنى الإجماعية وتعدد في معالم الشخصية الإجماعية الوطنية والمحلية علما أن التنوع والتعدد الوطني يمثل عملية إثراء وأغناء لحياة الوحدة العربية ولا يضيرها بشيء على الإطلاق على النحو الذي يدعيه دعاة التجزئة «ووحدويوها».

ثم ما هي الطرق الآمنة الى حياة مجتمع الوحدة العربية؟ وما هي الإجراءات الأهلية والحكومية إليه؟ وكيف يسهم الفكر العربي في بناء هذه الحياة مستفيدا من تجارب المجتمعات التي وصلت الى النهضة والتقدم من مداخل عدة خاصة بها مثل النمور الآسيوية وتلك التي تحاول إقامة تجمعات سياسية - اقتصادية كبيرة مثل الدول الأوروبية وبعض دول أمريكا اللاتينية.

في سعيها إلى الإجابة على فرضيتها الرئيسة حول إمكانات الوصول إلى الوحدة العربية من خلال عيش حياة هذه الوحدة ومعايشتها من بوابة الدولة الوطنية فوق ترابها وبقرار من سلطتها ومشاركة من مؤسساتها وأجهزتها وكوادرها وفعالياتها الأهلية والحكومية ترى المفارقة أنه يلزمها اختيار مشهدين مما يسود الحياة العربية الراهنة سواء كان ذلك على مستوى الممارسة أي ما هو قائم فيها أو على مستوى التمني والرغبة أو الحلول العملية لخروج الوطن العربي من مأزقه الحضاري الراهن المتمثل كما قلنا في الفجوة بين ماضيه وحاضره من جهة والدور الحضاري المطلوب منه تاريخيا بحكم مكانته الحضارية التي احتلها في ماضيه وحالة التبعية التي تمنعه من ممارسة مهمته الحضارية من جهة أخرى.

والجدير بالتنويه هنا أن الأماني والرغبات بوصفها مستوى من مستويات الحياة العربية النفسية تأخذ شرعيتها لأنها تمثل الأهداف الرئيسة للخطاب العربي وأحد أهم مشاهده «سيناريوهاته» في خروج الوطن العربي من نفق التخلف والجهل والتبعية.

والمفارقة اذ تختار المشهدين التاليين فأنها تريد من جملة ما تريد منهجيا وسياسيا أن يكون كل واحد منهما أداة للمفارقة ووسيلة لتسليط الأضواء على سلبيات المشهد الأول وإيجابيات المشهد الثاني من موقع الإدانة التاريخية للحالة السياسية والاجتماعية والثقافية التي يقررها المشهد الأول ولما في المشهد الثاني من ثراء لتحقيق الذات العربية بوصفها شريكة في القرار الحضاري الإنساني.

مشهد مجتمع التجزئة:

وتحكمه تحديات داخلية وخارجية عدة تعرقل نموه وتطوره ونيل استقلاله التام والمتكامل. وتسيطر على فعالياته كل ما أنتجته التجزئة من ثوابت قطرية أغلبها يفتقر الى الشرعية الوطنية وكل ما أحدثته وتحدثه من أزمات اقتصادية وفكرية وثقافية. ويمكن تلخيص المعالم الرئيسة لمجتمع التجزئة بالآتي:

- غلبة الثوابت القطرية على الوطنية التي تبين أولوية الولاء القطري على الولاء القومي وهي في التحليل الأخير معادية لكل أشكال التقارب بين الأقطار العربية.

- والمخيف أو المرفوض في هذه الولاءات أنها من جهة مخالفة في الكثير من جوانبها وفعالياتها للولاءات الوطنية لأن هذه الأخيرة تمت بصلات حميمة للولاء القومي ومن جهة ثانية لأنها تصبح بمثابة إيقاع بين الفئات والشرائح الاجتماعية ومن يمثلها في الطبقة السياسية الداعية الى قطع الجذور مع العروبة ظنا منها أن الدعوة القطرية الانقسامية تصبح

سياجا مهيبا لها تحتمي فيه وتصون به أمنها. تعثر العمل العربي المشترك وقصوره عن تحقيق أهدافه التي رسمتها له المواثيق ومشروع الاستراتيجيات التي أقرتها مؤتمرات القمة العربية وعلى رأسها ميثاق العمل الاقتصادي القومي والسوق العربية المشتركة ثم العودة الى سياسة المحاور تحت مسميات جهوية وسياسية كثيرة علما أن هذه السياسات أخذت تنسج نسجا جديدا يسيد الفرقة والريبة.

ـ اتساع مساحة التدخل الخارجي في الحياة العربية الراهنة وتكاثر الوجود العسكري الأجنبي الذي قدم الوطن العربي الغالي والنفيس لإخراجه من ترابه خلال عقد الخمسينات من هذا القرن.

ـ صعود دور الكيان الصهيوني بتدخله في أحوال الوطن العربي في أعقاب مؤتمر مدريد عام ١٩٩٢ إذ أصبح يسوق السوق الشرق أوسطية لصالح مشروعه الصهيوني المتمثل بـ «حدودك يا إسرائيل من الفرات الى النيل».

ـ الاختراق المتعاظم للبنية السكانية العربية من قبل العمالة الأجنبية المتسللة أو المهاجرة بعقود عمل الأمر الذي يهدد باضمحلال خصائص الوحدة السكانية العربية وظهور أجيال مولدة ضعيفة في التزامها الوطني مستنكفة عن الولاء للعروبة ومشدودة الى أصولها وجذورها القومية والمذهبية والدينية الأمر الذي يجعلها بمثابة الغام تنفجر هنا وهناك.

ـ ان التعبئة السياسية والفكرية التي تقوم بها بعض الأجهزة الإعلامية في أقطار عربية عدة تعمل على تعزيز النزعات المحلية والقطرية وما يصاحبها من ولاءات تضعف في نهاية المطاف الولاء القومي.

مشهد مجتمع الوحدة العربية:

بداءة تقرر المفارقة حقيقة قوميه لا تقبل تغييبها أو التشكيك بها وهي أن الدعوة الى بناء مجتمع الوحدة العربية ليست رغبة عاطفية خالية من

قوة حقائق الأشياء والممارسات أو أضغاث أحلام لأنها حقيقة تاريخية تمثلت في مستويات سياسية واقتصادية ونفسية وثقافية واجتماعية عدة وهي أيضا وحدة اللغة والتاريخ والأرض والأهداف والآمال والآلام وهي وحدة الدور الحضاري.

وبناء على ما تقدم ترى المفارقة أن توصيف مجتمع الوحدة العربية يتم بناء على استيعاب تجارب الوحدة العربية المعاصرة بدءا من وحدة سورية ومصر ومشروع الاتحاد الهاشمي ومرورا بمباحثات الوحدة الثلاثية بين مصر والعراق وسورية وميثاق طرابلس ثم مشاريع الوحدات والاتحادات التي طرحت بين أكثر من قطر عربي وانتهاء بمجالس التعاون العربية ذات الطابع الجهوي. مثل مجلس التعاون لدول الخليج العربي واتحاد المغرب العربي ومجلس التعاون العربي.

ويبدأ التوصيف مهامه من المعادلة التي تقول بوجود أنظمة عربية متعددة في سياساتها الوطنية ومتنوعة في ثقافاتها المحلية ومتشابكة في مصالح اقتصادية وأمنية مشتركة أثبتت العديد من الوقائع والأحداث والتجارب والخطط التنموية الطموحة أن لا سبيل لأي قطر عربي الى نهضة جادة ومتزنة ومثمرة إلا عبر العمل العربي المشترك بكل أبعاده وصعده أو مستوياته البنائية.

ويستمر التوصيف في ممارسة مهامه من خلال سؤاله بما تحمله تلك المعادلة من إمكانات لمواجهة التحديات التي تواجه الأقطار العربية الآن وفي المستقبل سبيل الانتقال الى مجتمع الوحدة العربية ثم مقاييسه وآلياته والكيفية التي تعمل بها الأحزاب والمنظمات الشعبية والجمعيات الحكومية والأهلية والجامعات داخل الأقطار العربية لبناء القاعدة المادية لمجتمع الوحدة العربية؟.

تعلي المفارقة من شأن الأيمان بالعروبة والإسلام والمصير العربي المشترك

بل تعتبرهما المدخل إلى مجتمع الوحدة العربية وأنماط رئيسه في التوصيف هذا بالإضافة إلى اليقين بأن الأمة العربية وجدت لتمارس دورها الحضاري. بل أن ممارسة هذا الدور يعتبر من أهم مبررات وجودها وهذا معناه أن ابتعادها عن ممارسته يؤدي الى تبعيتها ومن ثم اضمحلالها. إن يقين الأمة العربية بدورها الحضاري هو سبيلها لبلوغ شأوها الحضاري وعزتها القومية شأنها في ذلك شأن العديد من الأمم التي اتخذت من يقينها بنفسها رافعة الى مكانتها الحضارية التي تحتلها الآن مثل الأمة الصينية والفرنسية والإنكليزية..الخ..

وبهذه المناسبة فان المقارنة تحذر من المهادنة على دور الأمة العربية أو الانتقاص من قيمته. لأن له صلات كثيرة بحياة الوحدة العربية فهو بمثابة العروة الوثقى بين أبناء الشعب العربي من جهة والأنظمة السياسية من جهة أخرى. وهو أيضا طريقها الى الاستقرار السياسي لأنه يقلل من التناقضات بينها ويلغي عملية التآمر لأنه يأخذ دوره كعقد اجتماعي وسياسي وأرضية للحوار الاجتماعي والثقافي. وهو في التحليل الأخير كلمة السر في استمرار الأمة العربية والمحافظة على هويتها القومية وقد شاء قدرها أن تكون محكومة الى دورها الحضاري.

وتلاحظ المفارقة أن هناك فوائد جمة يحققها مجتمع الوحدة العربية مثل تحسن مستوى المعيشة ليصل الى مستوى الدول المتقدمة إذا توفرت لثروات الوطن العربي الإدارة الوطنية الصالحة وحرية القرار وتوفر لها أيضا حسن التخطيط وسلامة الاستغلال الأمثل.

كما يوفر مجتمع الوحدة العربية الاكتفاء الذاتي والتنمية المستقلة وعلى أساسه تتواجد مستويات عدة من القوة الاقتصادية والعسكرية والثقة بالنفس والقضاء على البطالة وتوزيع القوى العاملة بشكل يسد النقص والحاجة لليد العاملة في بعض الأقطار العربية ويوفر البنية التحتية التي

بدونها لا يمكن للوطن العربي أن ينجز ثورته في المعلومات ووسائل الاتصال والهندسة الوراثية.

لذلك ترى المفارقة في توصيفها لمجتمع الوحدة العربية أنه يحتاج الى ميثاق قومي يتخطى منطق الخطابة ويترفع عنه. ويكثر من المؤشرات التي تساعد في تفعيل الأرقام والمشاريع والبرامج التي تحتاجها الحياة العربية واضعا باعتباره الاستفادة مما أنجز ولم ينجز من مشاريع العمل العربي المشترك. وأن يكون للميثاق شأوه في رسم الدور الوطني داخل مجتمع الوحدة العربية سواء في مستواه الرسمي أو الشعبي بناء على مجموعة من المحددات والضوابط التي تمثل قواسم مشتركة بين الأقطار العربية وتفعيل دور المنظمات العربية وخاصة جامعة الدول العربية بحيث تصبح أكثر من سكرتارية ويصبح أمينها العام مصدر مشورة في اتخاذ القرار وهذا يعني تغيير المواصفات الراهنة المطلوبة للأمين العام.

كما أن على هذا الميثاق أن يتعامل مع قوة الحقائق الوطنية والقومية بمقاييس موضوعية تحكمه سلامة الأولويات التي تضع التحولات التي تجري على المستوى الوطني باتجاه إيجاد مجتمع الوحدة العربية.

ويبقى عليه مهمة لا تقبل التأجيل وهي وضع تصور لمدرسة عربية موحدة في مناهجها التربوية وموادها وتوجهاتها ومؤهلة لأحداث نقلة نوعية في طريقة تفكير الطالب العربي وتعامله مع مواده الدراسية وتحرره نهائيا من طريقة الحفظ إلى طريقة الفهم والإبداع وتساهم مع أجهزة الأعلام في تحقيق تعبئة الأجيال الناشئة تعبئة فكرية توحد نظرتهم إلى الحياة والكون وتقودهم إلى التفاعل الخلاق القائم على احترام الحقيقة وتجانس المشاعر الوطنية والقومية.

وتنتقل المفارقة إلى إشكال أخرى من التوصيف يمكن أن نجدها على سبيل المثال في مد الطرق البرية والسكك الحديدية وإلغاء الحدود السياسية

وتخفيض ثمن تذاكر الطيران وتلك تشكل نصف الطريق إلى مجتمع الوحدة العربية.

أما النصف الثاني فهو السوق العربية المشتركة لأنها تعنى أشياء كثيرة مثل تحرير التبادل التجاري بين الأقطار العربية ونمو السوق المالية وتبادل المعلومات والخبرات وتعزيز الاتصال والتواصل الثقافي وتوحيد العملة وإيجاد بطاقة شخصية مشتركة.

والخلاصة فان مجتمع الوحدة العربية في متناول أصحاب القرار في الأقطار العربية وإن الشعب العربي على اختلاف فئاته الاجتماعية وتنوعه الثقافي مهيأ لأن يحيا حياة الوحدة العربية. ويبقى على أصحاب الشأن جرأة الأقدام على اتخاذ القرارات التي لم تعد تقبل التأجيل في إقامة مجتمع الوحدة العربية وفي طليعتها السوق العربية المشتركة وبناء قاعدتها المادية

إن أية مخاوف من مجتمع الوحدة العربية هي في التحليل الأخير مخاوف طارئة صنعتها التجزئة وعمقتها النزعات الإقليمية المغرقة في ميولها الانقسامية وتحبيذها التدخل الخارجي.

وبناء على المفارقة بين مجتمع الوحدة العربية وبين مجتمع التجزئة يدعو الأستاذ عفلق العرب(31) «أن يضعوا مشكلتهم الأساسية في وضع صحيح وصريح يليق بشعب عظيم صادق شجاع يأنف محاباة نفسه على حساب رسالته التاريخية».

آن للعرب أن يضعوا حداً للأعذار والتهرب من المسؤولية وألقاء جميع التبعات على الاستعمار وأن ينظروا إلى مشاكلهم نظرة عميقة من الداخل ويعتبروا أنفسهم وحدهم المسؤولين عن مصيرهم.

آن لنا أن نعتبر الاستعمار نتيجة لتقاعسنا عن تبديل أوضاعنا الداخلية البالية لا سببا في قيام هذه الأوضاع واستمرارها (...) أن ما نرمي إليه هو

أن نضع حداً للانفعال والاستسلام وأن نشرك أكبر عدد ممكن من أبناء شعبنا في قضية أمتهم ومصيرها (...) فنقتنع بأن السبيل الوحيد الى تحرير الوطن العربي وتوحيده هو في إيصال الجماهير الشعبية الى حكم البلاد واستلام مقدراتها

دعوة الأستاذ عفلق هذه تعني الوصول الى «الكتلة التاريخية على حد تعبير غرامشي التي تجمع كل الطاقات والكفاءات العربية الخلاقة. وهذا هو بيت القصيد في تأسيس مشروعه الحضاري حيث تتبادل الوحدة العربية مع الرسالة الخالدة والجيل العربي العلاقات العضوية والجدلية لممارسة الأمة دورها الحضاري وتظل الوحدة العربية عنده شرط قيام الأمة العربية بهذا الدور»[32] «فالوحدة ثورة. وهي معركة المصير العربي. وهي فكرة ومستوى. وهي أساس النهضة وهي حقيقة أن الشعب العربي لا يحقق وحدة النضال ما لم يمارس نضال الوحدة، وهذا القانون هو ألف باء الدور الحضاري وممارسته من قبل الأمة العربية».

○ ○ ○

الهوامش

1 ـ البعث والتراث ـ ج ٣
2 ـ المرجع السابق ـ ص ٢١٠.
3 ـ المرجع السابق ـ ٢١١.
4 ـ المرجع السابق ـ ص ٢١٣.
5 ـ المرجع السابق ـ ص ٣٢١.
6 ـ المرجع السابق ـ ص ٢٨٢.
7 ـ المرجع السابق ـ ج ١ ـ ٢١٣.
8 ـ المرجع السابق ـ ص ٢١٠.
9 ـ المرجع السابق ـ ص ٢١٦.
10 ـ المرجع السابق ـ ص ٢٦٥ و٢٦١ و٢٦٥.
11 ـ المرجع السابق ـ ج ٥ ـ ص ٣٦٣.
12 ـ المرجع السابق ـ ص ٣٦٣.
13 ـ المرجع السابق ـ ص ٣٩٤.
14 ـ المرجع السابق ـ ص ٣٩٩.
15 ـ المرجع السابق ـ ص ٣٠٠.
16 ـ المرجع السابق ـ ٢٩٩.

17 - المرجع السابق - ص ١٤٠ و١٤١.

18 - المرجع السابق - ص ٢٩١.

19 - المرجع السابق - ص ٢٠٩.

20 - المرجع السابق - ص ٢٠٨.

21 - المرجع السابق - ص ١٣٣.

22 - المرجع السابق - ج ٣ - ص ٢٦ - ٢٧.

23

24 - المرجع السابق - ص ١٨.

25 - المرجع السابق - ص ١٩.

26 - المرجع السابق - ص ٢٠ - ٢٢.

27 - المرجع السابق - نفس المعطيات ١٥٥ - المرجع السابق - ج ٢ - ص ٢٣٥.

28 - المرجع السابق - ج ٢ - ص ٢٣٥.

29 - المرجع السابق - ص ٢٣٣ - ٢٣٤.

30 - المرجع السابق - ص ٢٣٣ - ٢٣٤.

31 - المرجع السابق - ج ٢ ص ٢٧٦ - ٢٣٧.

32 - المرجع السابق - نفس المعطيات.

المؤلف :



- الدكتور عزالدين دياب ، مفكر عربي من القطر السوري ، من مواليد عام 1938 بلدة بسيرين محافظة حماه . حصل على بكلوريوس من جامعة القاهرة وبغداد وديبلوم الدراسات العليا في العلوم المستقبلية من جامعة قرونوبل ودكتوراه دولة في علم الإجتماع السياسي .

- عمل مفتشا للتربية الإجتماعية ثم مدرسا جامعيا وشغل مهمة مدير إدارة التنمية الإجتماعية بجامعة الدول العربية .

- له العديد من الكتابات السياسية والإجتماعية منها كتاب التحليل الإجتماعي لظاهرة الإنقسام السياسي في الوطن العربي – حزب البعث العربي الإشتراكي نموذجا .